وجهة نظر شخصية لم تكتمل!

د. مهدي عبد الهادي

حزيران (يونيو) 2018
القدس

(1) التاريخ والذاكرة

أن تكتب كما تُفكر، وأن تُعبر كما تُحب، وأن لا تغرق في بحر الكلمات ، وأن لا تنتظر ثناءاً أو مديحاً، وأن لا تخشى عتابا أو انتقاداً، وأن تتساءل، لمن أكتب؟ وهل أكتب "للتاريخ" كمراجعة وتسجيل "الأحداث الواعية" والناتجة عن "الحقائق" الاجتماعية والاقتصادية والمصالح السياسية، أم أكتب من "الذاكرة" باعتبارها حاضنة لقصص الحياة وما آلت إليه من نجاح أو إخفاق؟

أعتقد أن المسؤولية في الكتابة، وخاصة إذا كانت عن "الذات"، عن "العائلة"، أن نجمع بين "التاريخ والذاكرة"، بمعنى أن نكتب عن الأحداث ورجالها، بفكر ومنطق زمانها ومكانها وليس بالضرورة بمنطق عصر اليوم، حتى نوفر الموضوعية والشفافية، والنزاهة العلمية والأمانة المعرفية للحقيقة.

وعلى الكاتب هنا أن يُغطي أربعة أبعاد:

أ) المبادرة: أن نستعيد لأنفسنا "للذات أولًا" مراجعة معرفية، وتفسير منطقي، وبيان الحقيقة، وهل هناك "مساحة" لنتعلم أو نتعظ من النجاحات والاخفاقات في سجل التاريخ؟ أم نتجاوزها أو نكررها؟ وهل نعيد أسبابها إلى مبررات تدخل "قوى خارجية" داهمت أوطاننا، ولم نقدر عليها وبالتالي تعاملنا معها بواقعية، وتأقلمنا عليها، من أجل "البقاء" أو

"لتحقيق بعض الطموحات الذاتية" وقد تكون على حساب "حقوقنا" واقدار الوطن وحياة الناس..

ب) الحضور: أن نسجل الحضور ونؤكد على الدور، "كموقف" بياناً للحالة، بالحجج والبراهين، ومقابلة الأطروحات المخالفة بالتحليل والمنطق. وأيضاً اشباع "الأنا" بالزهو والتفاخر، وليس غرور "الصغار" أو تبجح "الجهلاء"! وأيضاً "الاعتراف" بحقائق التاريخ وأمانة الذاكرة!

جـ) المسؤولية: أن نحافظ على هذه "الأوراق": التاريخ والذاكرة، وننقلها لأبنائنا وأحفادنا، بنيناً وبناتاً، وأيضاً للآخرين، داخل وخارج مجتمعاتنا، وذلك لغايات العلم بالشيء، والتعلم منه وعنه والاتعاظ بأحداثه زماناً ومكاناً، وأيضاً التسلح بالحقائق أمام محاولات التشويه أو التزييف أو التحريف أو الاقصاء أو الانتقاص.

د) المرجعية: أن نودع لدى المكتبة العربية والأجنبية "أوراقنا" التاريخية وما احتضنته "ذاكرتنا" الفردية والجمعية عبر السنين من قصص وروايات، للتوثيق والحفظ وأيضاً للمراجعة المستمرة، للتنقيح والتعديل وتقبل "الانتقاد" حولها وليس بالضرورة "قبوله"! وأن نحرص عليها فوق الأدراج والرفوف وفي النور، لا أن تدفن بين المخطوطات في العتمة!

(2) العائلة: آل عبد الهادي

امتد حضورها وأدوار وآثار رجالها ونسائها، أكثر من قرن من الزمان، وتعددت وتنوعت قراءات وكتابات وشروحات الباحثين والدارسين عن العائلة، وقد اختلفت مرجعياتهم الفكرية وخلفياتهم الاجتماعية وانتماءاتهم السياسية. وقد سعى بعضهم إلى التعريف والتعرف على رجالها ونسائها، وبيان حضورها، في ساحة جمعت عائلات فلسطينية أخرى، كما اجتهد آخرون إلى تفسير أدوارها وعلاقاتها واثارها في حقب التاريخ والذاكرة المتعاقبة.

جذور آل عبد الهادي، قومية عروبية، وقامات رجالها ونساءها وطنية وجزءاً من تاريخ فلسطين الحديث، كان ولا يزال لها أكثر من "خصوصية". وصف بعضهم ب "النخبة – انتلجنسيا" لأنهم حققوا المعرفة والعلم، وامتلكوا الأرض والمال، ومارسوا النفوذ والسلطة، وقد حقق آخرون من بينهم، "مبادرات" عن وعي وإرادة، وكانوا من "الرواد" في الاشتباك مع الأحداث والفاعلين فيها، ونافسوا وزاحموا كثيرين على الساحة، وسجلوا حضورهم وموقفهم وحقق بعضهم طموحاته وأمانيه، فقد كان يمتلك الثقة بالنفس، والقدرة على الفعل، والعزم على تحقيق الطموحات والأماني!

(3) أمثلة تاريخية

في قضايا "الحضور والمبادرة وتحقيق الأهداف" كانت في بدايات الحملة المصرية على فلسطين (1840-1931) وتحالف آل عبد الهادي مع ابراهيم باشا. في حين شهدت البلاد دخول النفوذ الأوروبي وافتتاح قنصليات أجنبية ومعاهد تبشيرية وزيارات الرحالة والحجاج وأيضاً تنافس العائلات على النفوذ والسلطة في القدس: آل الحسيني وآل الخالدي وآل النشاشيبي وآل العلمي وآل البديري وغيرهم، وفي نابلس: آل عبد الهادي وآل طوقان وآل جرار وآل الجيوسي وآل القاسم وغيرهم!

ومع دخول ابراهيم باشا مدينة القدس عام 1831، وهي في وعي وضمير كل الفلسطينيين، وإعلانه عن عزمه "إلغاء كل أشكال التمييز بين المسيحيين والمسلمين" و "إعفاء الكنائس من الضرائب"[1]. بادر حسين عبد الهادي، بتكليف من ابراهيم باشا، إلى السفر إلى القدس في آب (أغسطس) 1833 وتقديم أول تقرير عن الحالة الدينية في المدينة، وكان الأول من نوعه (دراسة ميدانية)ومضمونه (شمل المسيحيين واليهود) وأهدافه (المساواة الدينية).

وقررت الإدارة المصرية (محمد علي وابراهيم باشا) ترجمة محتويات التقرير إلى فلسفة "المساواة أمام القانون"، لجميع أهل القدس، وهو "تشريع ثوري" لم تعهده المدينة خلال الإدارة العثمانية السابقة أو اللاحقة، وقد منح رؤساء الطوائف المسيحية واليهودية صلاحيات بناء الكنائس والكنس وترميمها، وجلس ممثلو الطوائف في مجالس الشورى على قدم المساواة مع الأعضاء المسلمين، وتمتع جميع الرعايا بالأمن والحرية في العمل والتنقل واللباس، وقد سمح للسياح والأجانب بزيارة المسجد الأقصى بمرافقة عسكرية حكومية![2]

وقد حرصت وحافظت الإدارة المصرية (محمد علي وولده ابراهيم باشا) على حماية ملكية الأراضي في فلسطين بعدم السماح لليهود بشراء الأراضي في القدس لأنه مخالف للشريعة الإسلامية، فهي أراضي وقف، لا يجوز البيع أو الشراء أو التجارة فيها.[3] وهذا الأمر، حقق الحكمة وأسس "القانون" في تثبيت عدم تغيير "الواقع التاريخي والديني في القدس".
"The historical and religious status quo in Jerusalem".

وبعد.. هل كانت "أقدار العائلة" وسط التنافس العائلي والأجنبي، حول النفوذ والسلطة في جبل نابلس والقدس، تقودها إلى التحالف مع الحملة المصرية بقيادة ابراهيم باشا! أم أنها البرغماتية والواقعية السياسية في فكر وسلوك حسين عبد الهادي، والذي يتمتع بالثقة بالنفس، وقوة الإرادة، لتقوده طموحاته لتحقيق "سلطة الملكية" وصولاً إلى "سلطة الحكم" بتقلد منصب مدير ولاية صيدا في تموز (يوليو) 1833 وإدارة شؤون فلسطين[4] وتمكنه من تقديم أول صورة لواقع الحالة الدينية في القدس، الأمر الذي ترجم إلى تحقيق "المساواة أمام القانون" لأهل المدينة، بالإضافة إلى دوره وتوصيته فيما بعد، تعيين رجال الإفتاء في القدس ونابلس والمصادقة على تعيين شيوخ الصوفية في القدس[5].

أم أن "مبادرة" الشاب الطموح (حسين عبد الهادي) ومعه عائلته وحلفائها من آل النمر وآل القاسم، لم يقدّروا عواقب أو النتائج لما بعد هذا "التحالف" أو يتدارسوا فيما بينهم مصالحهم ومستقبلهم وسط مراكز القوى الداخلية والخارجية، واحتمال

تغير الأحوال والتحالفات، وما قد تؤول إليه فيما بعد، على اعتبار أن الحملة المصرية كسابقاتها وغيرها من الحملات: طارئة ومؤقتة أمام سلطة الدولة العثمانية..

فكانت النتائج، على صعيد العائلة، أن قامت الحكومة العثمانية، في أعقاب خروج الحملة المصرية من فلسطين وبعد تحريض بعض السفراء الأجانب على العائلة، بحملة عسكرية دموية، دمرت فيها معقل آل عبد الهادي (قرية عرابة) وقضت على مقاومتها واستحكاماتها وتحصيناتها، وعلى أثر ذلك، تدهورت حالة العائلة الإقتصادية والسياسية!!

وعلى صعيد الوطن والشعب، أنهت الحكومة العثمانية، حالة "الاستقلال الذاتي" التي تمتع بها جبل نابلس على مدى قرون.[6]

أما على الصعيد الشخصي، فقد توفي "المبادر" و"البرغماتي" حسين عبد الهادي في ريعان شبابه عام 1837، كما لم يستجاب لطلب العائلة "التحقيق في سبب الوفاة" والتي افترض أنها لم تكن وفاة طبيعية، بل مات مسموماً![7] وقد ذهب أحد المؤرخين الأجانب، إلى الادعاء بأنه كان على علاقة مع شقيقة ابراهيم باشا، وأنها أو شقيقها قد وضعوا له السم!!

وبالرغم من هذا "المشهد الدرامي"، تمكنت "العائلة" من العودة إلى النهوض مرة أخرى وإعمار معقلها (عرابة) وإقامة تحالفات جديدة، كأحد أركان المجتمع الرئيسية، الأمر الذي قاد الحكومة العثمانية إلى "الاعتراف" بها مرة أخرى، وتكليف رجالها بالإدارة"كأمر واقع" وليس من مصلحتها أن تتجاوزه لتحقيق حضورها وحكمها في البلاد وخاصة في جبل نابلس!!

وبعد.. هل تركت هذه "النكسة" آثاراً في وعي وإدراك وحراك رجال ونساء آل عبد الهادي فيما بعد؟ وهل جرت مراجعات لهذه الذاكرة والتاريخ؟ أم أننا أصدرنا ونصدر أحكامنا على "التحالف" مع الحملة المصرية، بأنه كان صواباً أو خطأ أو

أنه "برغماتية وواقعية عملية" لإشغال الساحة بدلاً من "الآخرين" أو "المنافسين" أو خيار السكوت والسكون بانتظار المجهول!!

لقد "بادرت" العائلة وزعيمها حسين عبد الهادي، إلى التحالف مع الحملة المصرية وسط الصراعات والمنافسات وبداية النفوذ الأجنبي في البلاد، معتمدة على قوة حضورها في جبل نابلس وتحالفاتها القوية مع العائلات الأخرى وثقتها بالقدرة "الذاتية" على تحقيق الطموحات والأماني، وتقبلها للنتائج ومصيرها ولا أعتقد أنها كانت مغامرة أو مقامرة أو القفز إلى المجهول!!

وبناءاً عليه، نرى الكاتب أو الباحث أو المؤرخ، وهو يتابع هذا التاريخ الماضي، بفكر ومنطق عصر اليوم، يسجل بإعجاب وتقدير حيناً، ودهشة المفاجئة واستغراب الحالة أحياناً، استمرار وتواصل وتعدد "المبادرات" وتنوع مجالات "الرواد" من رجال ونساء آل عبد الهادي، في ساحات الوطن وامتدادها الإقليمي والدولي، والذين أصبحوا جزءاً من تاريخ فلسطين والذاكرة الوطنية للناس..

(4) بعض الرواد

إذا جاز لي أن أجتهد في قراءة سجل الماضي، أو أستعرض بعض أوراق الحاضر، في رسم صورة لبعض هؤلاء "الرواد"، فإنني أجد نفسي أمام قامات وطنية، تشق طريقها في الحياة بكرامة وكبرياء وثقة بالنفس لا تقيدها لوائح أو قوانين لأنظمة أو تعيقها العقبات التقليدية أو الطارئة!

وأرجو أن أسجل قراءتي واجتهادي في التعرف والوصف على عدد من رجال ونساء العائلة والذين كانوا وما زالوا جزءاً من النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الفلسطيني ونخبة: "مؤسسة" أو "مكملة" أو "مساوية" للآخرين، ولكنها تميزت أو تقدمت عن أقرانها باعتبارها من "الرواد" في "المبادرة" و"الإنجاز"!

أتوقف أمام قامات تاريخية عاشت في نفس الفترة، وكانت تتمتع بذات الصفات والمؤهلات وأيضاً ذات الخلفية الفكرية والمهنية. كانوا "رواد" في الحركة القومية العربية، وقادتهم "مبادرتهم" إلى ذات المصير: "الشهادة"، "الإبعاد"، "الوصاية"، و"الوظيفة" فيما بعد..

"الشهيد": سليم أحمد عبد الهادي (1870-1915) من ملاك الأراضي في جنين وعرابة، يحمل درجة عليا في القانون من مكتب الحقوق في اسطنبول، آثر على ترك العمل في سلك القضاء في العهد العثماني، ليعود إلى جنين ويؤسس فرعاً فلسطينياً لحزب اللامركزية من أجل استقلال "الولايات العربية" عن الدولة العثمانية، وكان على أثر ذلك، من أوائل شهداء الحركة العربية الذين أعدمهم جمال باشا في ساحة الشهداء في بيروت في آب (أغسطس) 1915.

"الوصي": حافظ باشا عبد الهادي (1872-1916) من كبار ملاكي الأراضي والعقارات في جنين وعرابة وموظفي العهد العثماني، عمل على دعم سليم عبد الهادي "ابن شقيقه أحمد" وتأسيس فرع حزب اللامركزية، وحمل أمانة ومسؤولية "الوصي" لتنفيذ وصية أخيه الشهيد في "شراء قطعة أرض ووقفها، وصرف ريعها لتعليم أبناء المستقبل."[8]

"المنفي": عبد الهادي عبد الهادي (1872-1938) من ملاكي الأراضي في جنين وعرابة ووادي عارة، درس القانون في اسطنبول، وعمل محامياً في بيروت، وكان عضواً في حزب اللامركزية، نفاه جمال باشا إلى الأناضول عام 1915، وأنجب كل من عوني، عفيف، عزيز، فؤاد، عمر، محمد، قاسم، راسم، درّة، ناددة، وعزيزة، وعاد ودفن في جنين عام 1938.

"الموظف" في شخصية أمين بك عبد الهادي (1897-1967) الذي حصل على إجازة الحقوق من الاستانة، وكان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، وعضواً فيما بعد، في المجلس الإسلامي الأعلى في القدس عام 1929، ورحب باختيار وتعيين الملك عبد الله بن الحسين له رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى في القدس في

كانون الأول (ديسمبر) 1948، متقدماً على أحد أبرز علماء القدس الشيخ حسام الدين جار الله وخلفاً للمفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني بعد نكبة فلسطين عام 1948. وبعد تقاعده، قضى سنوات شيخوخته مع زوجته في مصر الجديدة ولم تنقطع مراسلاته واهتماماته بالمسجد الأقصى المبارك وإعماره..

(5) رجال القضاء والمحاماة

كانت دراسة القانون ومهنة القضاء والمحاماة من الميادين التي برز فيها العديد من رجال العائلة وغابت عنها النساء! وقد تمكنوا من خلالها، في القرن الماضي، من المحافظة والدفاع بل اتساع ملكية أراضيهم وعقاراتهم في نابلس وجنين وعرابة ومرج ابن عامر. وفيما بعد، وعلى أثر النكبة الفلسطينية عام 1948 عندما اضطروا "للرحيل" عن الوطن والبحث عن "أرض للهجرة أو اللجوء" كانت علومهم وثقافتهم ومهنتهم أدوات "للبقاء" وعدم الانكسار، واستمرار الحياة.

كانت مهنة القضاء والمحاماة من أبرز المجالات التي برز وتفوق فيها هؤلاء الرجال..

"الحقوقي المؤسس": ماجد بك عبد الهادي (1890-1983) الذي درس القانون في اسطنبول، وكان القاضي الوحيد الذي تقلد مناصب قضائية في عهد الانتداب البريطاني (رئاسة المحكمة المركزية ثم محكمة الاستئناف)، وقد كلفه الملك عبد الله بن الحسين، تأسيس وتشكيل المحاكم النظامية في الضفة الغربية بعد الوحدة الأردنية – الفلسطينية، وعين قاضي للقضاة عام 1951، ثم تولى وزارة العدل عام 1957.

"الحقوقي الدبلوماسي": روحي باشا عبد الهادي (1885-1954) يحمل درجة عليا في القانون من اسطنبول عام 1908، وعمل في السلك الدبلوماسي العثماني، قنصلاً في اليونان وروسيا ورومانيا

ووزارة الخارجية العثمانية حتى العام 1915، تولى في عهد الانتداب البريطاني عدة مناصب حكومية ومساعداً للسكرتير العام للحكومة حتى عام 1944. كان أول وزير فلسطيني يتولى وزارة الخارجية الأردنية ثم وزارة العدل عام 1949!

"الحقوقي المرجع": الحاج فؤاد عبد الهادي (1900-1977) حصل على إجازة الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني في القدس عام 1930، وزاول المحاماة في مكتب أخيه عوني عبد الهادي في القدس في عهد الانتداب البريطاني. وكان يشرف ويدير أملاك العائلة في عرّابة والمثلث العربي، وعلى أثر النكبة الفلسطينية عام 1948، هاجر وعائلته (زوجته شهيرة النابلسي وأولاده عبد الهادي ومحمد مهدي وسلامة) إلى بيروت لمدة عامين، عاد بعدها إلى نابلس وانضم إلى الجهاز القضائي، مدعي عام في نابلس عام 1950 وتدرج في سلك القضاء قاضياً في محاكم البداية، والاستئناف والنائب العام في القدس، ساهم في صياغة وإقرار "القانون المدني الأردني" كعضو في مجلس الأعيان عام 1960، وأيضاً صياغة الميثاق الوطني الفلسطيني عام 1964. وبعد الاحتلال الاسرائيلي عام 1967، ساهم مع نخبة من رجالات فلسطين، في تأسيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، وكان مرجعاً قانونياً في قضايا القدس وخاصة الدفاع عن المسجد الأقصى وساهم في تأسيس وعضوية أول لجنة توجيه وطني في القدس. توفي ودفن في القدس عام 1977.

"الحقوقي الإداري": حافظ يوسف خيري عبد الهادي (1918-1963) ولد ودرس في دمشق وحصل على ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق ثم دكتوراه في القانون من جامعة السوربون في فرنسا، وعمل قنصلاً في السفارة الأردنية في القاهرة عام 1954 ثم قائم بأعمال السفير في باريس وجده عام 1956/1955، ثم أول أمين عام لديوان الخدمة المدنية في الأردن عام 1956، ثم رئيساً للتشريفات

الملكية في الديوان الملكي الأردني، وأخيراً مديراً للإذاعة الى أن أبعد لموقفه السياسي الى مصر وتوفي عام 1963.

<u>وهناك عدد كبير من المحامين المتمرسين، أذكر منهم</u>:

<u>"المحامي النقابي"</u>: فؤاد عادل عبد الهادي، انتخب نقيباً للمحامين في الأردن لستة دورات 1954-1960.

و<u>"المحامي العقائدي"</u>: وليد عبد الهادي، انتخب نقيباً للمحامين في الأردن لدورتين 1981 و1991.

(6) رجال الإدارة

برز في علوم الهندسة والتخطيط والإدارة عدد من الشخصيات، الذين تجاوزا الكثير من التحديات و"العقبات" وتمكنوا من رفع سارية السفينة، وسط الأمواج والعواصف. وحافظوا على مبادئهم واستقلالهم إلى أن وصلت أقدامهم إلى شواطئ الأمان!

<u>نعيم بك عبد الهادي (1912-1996)</u> الذي حقق درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1934، وعمل مهندساً لمدة ثلاث سنوات في دائرة الأشغال العامة في عهد الانتداب البريطاني حتى العام 1938. وعلى أثر النكبة الفلسطينية، كان واحداً من رجالات العائلة الذين عملوا في الإدارة (متصرف لواء الخليل ثم عجلون) حتى عام 1951، ولكنه استقال ليخوض معركة انتخابات بلدية نابلس، وانتخب رئيساً لبلديتها، عام 1951 حتى 1955، وسجل بصماته المعمارية والعصرية في تطوير البنية التحتية والعمرانية في المدينة: خطوط مياه وكهرباء وتعبيد طرق وتنظيم سكاني، وقاده "طموحه" ليطرح "رؤيته للتخطيط والعمارة" ليصبح وزيراً للأشغال العامة، ولكنه ما لبث أن

"استقال" لمعارضته سياسية الحكومة في الانضمام إلى حلف بغداد، الأمر الذي قاده ليخوض معركة انتخابات ثانية، وليمثل أهله ومواطنيه في مجلس النواب عام 1956، وانضم إلى رفاق الدراسة والفكر (الحزب الوطني الاشتراكي) بزعامة سليمان النابلسي، وزيراً للاقتصاد الوطني ولكن تعثرت مسيرته مرة أخرى بإقالة الوزارة، وفرض الإقامة الجبرية عليه، ثم السجن في معان إلى "الإبعاد" إلى سوريا ثم إلى مصر حتى العام 1965، وبعدها عاد إلى عمان وتوفي فيها عام 1966!!

وقد حافظ أولاده، سمير وأسامة وعمر، على رسالة والدهم المهنية (الهندسة والتخطيط والعمارة) في مجالات عملهم، وفكره الوطني (خدمة نابلس وفلسطين)، وتعليم الأجيال (أقاموا ثلاث مدارس في نابلس)، ورصدوا بعض المال لإعمار عرّابة، ولأهداف مجتمعية متعددة في الجامعات والمؤسسات في فلسطين والأردن..

<u>محمد موسى عبد الحليم عبد الهادي (1924-2010)</u> الذي تمكن من الخروج من "سلطة الإدارة" وانتظار "الراتب والرتبة" إلى العمل الحر، وعمل قائم مقام (حاكم إداري) لعدة مناطق: الخليل، طولكرم، رام الله، أريحا، عجلون، العقبة، وكان مثالاً للمسؤول الوطني الذي كتب عنه الكثير الصحفي هاشم السبع في جريدة الصريح، إلا أنه اثر الاستقالة من مواقع الإدارة إلى تسجيل حضوره في المشهد المقدسي، أمثال كثيرين من رجالات العائلة، وافتتح مكتباً للسياحة والسفر. وكان أول من تعاقد وكيلاً للخطوط الجوية الألمانية في فلسطين (1957). واشتهر في اهتماماته بعلوم الفلك والنجوم والأرقام وتوفي في آب (أغسطس) 2010 في عمان.

<u>سلامة فؤاد عبد الهادي</u> مواليد نابلس عام 1945، إعلامي عصري، وبرغماتي واقعي، التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة وتخرج بدرجة بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية عام 1969، وحاضر في علوم الاقتصاد والفلسفة بجامعة بيرزيت 1970-1971، ثم انتقل وتنقل بين واشنطن وقبرص وبيروت وعمان يعمل في مهنة الإعلام والترجمة في قسم الشرق الأوسط بالخارجية

الأمريكية عام 1979، ثم انتقل إلى تخصص آخر، سكرتيراً صحفياً ومستشاراً إعلامياً في الديوان الملكي الهاشمي في عمّان، ثم مستشار خاصاً للأمير الحسن بن طلال ولي العهد (آنذاك) لمدة عشر سنوات حتى وفاة الملك الحسين بن طلال عام 1999.

(7) المرأة العصرية

- **قادت طرب سليم عبد الهادي (1910-1976) أول وفد نسائي في مظاهرتين حاشدتين في شوارع القدس، وألقت كأول مسلمة خطاباً في كنيسة القيامة ضد السياسة البريطانية إثر هبة البراق في تشرين الأول (أكتوبر) 1929، ثم ضد الهجرة اليهودية لفلسطين في 15 نيسان (ابريل) 1933، واشتركت في الحملة الأهلية لإزالة الحجاب في الثلاثينات، وشاركت في المؤتمر النسائي العربي الأول بدعوة من الاتحاد النسائي المصري عام 1944، وهي زوجة عوني عبد الهادي، ووالدة أرب وملك ومازن ووائل.**

- **انتخبت عصام عبد الغني عبد الهادي (1928-2013) أمينة سر الاتحاد النسائي العربي في نابلس عام 1949، ثم رئيسة للاتحاد عام 1965، وكانت من أبرز القيادات النسوية الفلسطينية، وقادت مع ابنتها فيحاء إضراباً واعتصاماً أمام أبواب كنيسة القيامة في القدس احتجاجاً على قتل قوات الاحتلال الإسرائيلي للنساء في غزة عام 1969، وجرى على اثر ذلك إبعادها مع ابنتها فيحاء إلى الأردن (27 عاماً)، وقد قامت بإعادة تأسيس الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في لبنان في منتصف السبعينات وترأست الوفد الفلسطيني للمؤتمر الدولي الأول للنساء في المكسيك تحت مظلة الأمم المتحدة عام 1975، وانتخبت رئيسة الاتحاد النسائي العربي عام 1981. وقد عادت عصام عبد الهادي من المنفى إلى نابلس عام 1993، ونالت جائزة ابن رشد للحرية الفكرية في برلين عام 2002، وتوفيت ودفنت في عمّان في 16 آب 2013.**

- **قاسم عبد الهادي عبد الهادي (1923-2015) شقيق عوني وفؤاء وزوج عصام عبد الهادي الذي عرف عنه الشهامة والنبل وعزة النفس، وكان أديباً وشاعراً يعبّر في حديثه عن عمق اهتمامه وتعلقه بالأدب والشعر يقول: "ان الشعر في تفاصيل حياتي، ولا أتخيل الحياة دون شعر"[9]. فقد عاش طفولته وشبابه وسط "المكتبة الكبيرة" في بيت العائلة وما ضمته رفوفها من كتب الأدب والقانون. وقد عمل مديراً لعدد من فروع البنك العربي في فلسطين والأردن، وكان عطوفاً على عائلته، عصرياً في معاملته وسلوكه، خاصةً "دعم ومساندة وتشجيع" زوجته (أم فيصل) لأنها حسب ما كتب عنها بقلمه "تقوم بواجبها الوطني على أفضل وجه."[10] وهي "في مقدمة الزعيمات الفلسطينيات قولاً وفعلاً"، كما جاء في وصف الشاعرة فدوى طوقان: "عصام سيدة القول والفعل."[11]**

- **حصلت لواحظ عبد الهادي (1927-2017) على دبلوم في التربية من كلية دار المعلمات في القدس عام 1946، وعملت في سلك التدريس في مدارس وكالة غوث اللاجئين، ثم نالت درجة البكالويوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيرزيت عام 1981، وواصلت تدريسها في المدرسة العائشية الثانوية في نابلس 1946-1957، ثم توجهت للتدريس في محمية عدن في اليمن السعيد يومها عام 1957. وبعد عودتها لفلسطين عملت موجهة تربوية في مدارس الخليل وبيت لحم حتى تقاعدها عام 1987. وشاركت في معظم نشاطات الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية والمؤتمرات السنوية المحلية والإقليمية والدولية.**

- **الحاجة تودد سعيد عبد الكريم عبد الهادي (1922-1989) ولدت في عرابة-جنين عام 1922، وأنهت دراستها الأولى في دار المعلمات في الطيرة في رام الله، ثم عملت في مدرسة بنات جنين، وكانت أول امرأة فلسطينية يتم ابعادها للأردن عام 1968 لاتهام سلطات الاحتلال لها، باستضافة ياسر عرفات في بيتها، بعد عدوان حزيران 1967. وواصلت الحاجة تودد مهمتها في التعليم والتدريس في سنوات إبعادها للأردن بإدارة مدرسة أبناء الشهداء بعمّان وإقامة المعارض لإحياء التراث الشعبي الفلسطيني.**

وعرف لها ثلاث شقيقات، هيفاء التي عملت أيضاً في التدريس، وهدية التي أصدرت العديد من الأعمال الأدبية: رجال من صخور 1940، على ضفاف الأردن 1934 الوميض عام 1943، وصلنا إلى القمة عام 1943 أيضاً، وجميعها صدرت في القدس. والأخت الثانية، زرعين المسماة عواطف وهي أيضاً تخرجت من دار المعلمات في الطيرة في رام الله، وعملت في التدريس!

- **فيحاء قاسم عبد الهادي (1951-): ولدت في مدينة نابلس، وأبعدتها سلطات الاحتلال مع أمها عصام إلى الأردن لمدة 27 عاماً، وحصلت على شهادة البكالوريوس في الأدب العربي من الجامعة الأردنية في عمّان عام 1973، وبكالويوس في النقد المسرحي من المعهد العالي للفنون المسرحية في القاهرة عام 1973،ثم درجة الماجستير عام 1982 والدكتوراه عام 1990 في الأدب العربي من جامعة القاهرة. كاتبة وصحافية ومحاضرة ونشطة نسوية وعضو الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية (1982-1998)، ومحاضرة في دائرة دراسات المرأة في جامعة بيرزيت (2000-2001)، وأصدرت تسعة كتب في الشعر والأبحاث الإجتماعية والدراسات النقدية والسياسية والتاريخ الشفوي. انتخبت عضواً في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 2018.**

(8) رجال العلم والثقافة

إذا جاز لي أن أتصرف في تعديل بعض الأقوال المأثورة، لقراءة وتفسير الحالة عند بعض رجال وسيدات العائلة، والذين كانوا "روادا" في ميادين العلم والمعرفة والثقافة، فإن عبارة: "العلم يبني بيوتاً لا عماد لها" تقرأ: "العلم يبني بيوتاً تهدمت أعمدتها"! وعبارة: "الجهل يهدم بيوت العز والكرم" تبقى على حالها للجميع دون استثناء في كل زمان ومكان!!

كان راضي عبد الهادي (1910-1982) من "الرواد" في إصدار المؤلفات والكتب الدراسية في اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والآداب وكتاب "الموجز في تاريخ فلسطين" (1957)، وكتاب "الحضارات القديمة" 3 أجزاء (1966)، و"جغرافية

بلاد العرب والشرق الأوسط" (1957)، و"قضية الشهيد" (1950)، وبالرغم من أنه كان من الطلائع الفلسطينية: مؤلفاً ومعلماً ومدرساً ومديراً وموظفاً مسؤولاً، إلا أنه لم يحظى بالاهتمام والمتابعة التي تمتع بها كل من خليل السكاكيني وخليل طوطح، واكتفى بأن "العلم" طريق حياة. و"التعليم" حافزاً لاستنهاض من "يتهيب صعود الجبال، أن لا يعش أبد الدهر بين الحفر"، وأن "التدريس" سلالم للارتقاء بالمهنة والرتبة وتأمين الراتب والمعيشة! لقد بدأ مشواره في "التدريس" في المدرسة الدرويشية في نابلس قبل أن ينتقل ليدرس في دمشق (1918-1920)، ثم يلتحق بدار المعلمين في القدس (1922) ويتخرج منها (1926) ويعود للتدريس في المدن الفلسطينية خلال الحقبة بين (1929-1934) حتى عمله في المدرسة الغزالية في نابلس (1948). وعلى أثر النكبة الفلسطينية، هاجر إلى دمشق لمدة عامين، عاد إلى القدس في الخمسينات لينضم لجهاز المعارف الأردنية مديراً لعدة مدارس على التوالي في القدس، عمان، الخليل، عجلون، ثم لينتقل إلى العمل الإداري؛ متصرفاً في لواء الكرك (1963)، والبلقاء (1964) وليعود بعدها قبل تقاعده بعامين، ليعمل وكيلاً لوزارة التربية والتعليم في الأردن![12]

(9) مراجعة التاريخ والذاكرة في حياة عوني عبد الهادي (1889-1970)

شهدت حياته "محطات تاريخية" في القضية العربية والمسألة الفلسطينية وعاش خلالها، كواحد من الطلائع المؤثرين في أحداثها:

<u>زاده</u>: تعليم عالٍ، إجازة في الحقوق من جامعة السوربون في فرنسا عام 1914.

<u>ثقافته</u>: دراسة الأدب العربي، والعمل المبكر في شبابه في الصحافة والترجمة، جريدة الطان والجورنال والماتان Le Jornel, Le Matin. وترجم كتاب "مقدرات تركيا التاريخية، وأبحر في فكر ومبادئ الثورة الفرنسية: الحرية، والمساواة

والإخاء، وأيضاً فكر ومهام بسمارك في توحيد ألمانيا ومقولته الشهيرة: "الوحدة الألمانية لا تتحقق بالخطب والمفاوضات بل بالدم والحديد."[13]

تشده جذوره: القومية إلى تأسيس جمعية العربية الفتاة 1909.

تقوده كرامته: الفلسطينية إلى تأسيس حزب اللامركزية من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية (1915) ثم حزب الاستقلال (1932).

ويسجل حضوره: زماناً ومكاناً، واثقاً من نفسه، واضحاً في رأيه، صلباً في موقفه، وقدر له دخول خمس جبهات مختلفة في وقت واحد.

في الأولى: كان لواءه "العروبي المعاصر" مع رفاق وأقطاب الحركة العربية، أمثال شكري القوتلي، رياض الصلح، جميل مردم بك، والأمير شكيب ارسلان منذ اجتماع القاهرة عام 1919 (بعد سقوط ميسلون)، وتكليفهم له استطلاع "مبادرة" الأمير عبد الله وتقديم العون له بعد وصوله إلى معان، والموقف البريطاني- الفرنسي منها ومستقبلها في عمقها السوري أو جناحيها العراقي والفلسطيني!

الثانية: كان دوره "المستشار المؤتمن" إلى جانب الأخوين الأميرين فيصل وعبد الله و"إغلاق فجوة خلافهما حول قبول الأمير فيصل عرش العراق" بعد سقوط الدولة العربية في سوريا، وقبول الأمير عبد الله إمارة شرق الأردن، وأطروحة تشرشل "المؤقتة" لشرق الأردن وأن "المؤقت سوف يصبح دائماً" والتواصل مع الأميرين لأكثر من ثلاثة عقود..

الثالثة: كانت مهمته "المبعوث الدبلوماسي" في مقابلته ونستون تشرشل في القاهرة عام 1919، ثم في القدس عام 1921، وأيضاً في أول مقابلة له مع هربرت صموئيل (المندوب السامي في القدس) عام 1920. وقوله له: "إني لم أحضر إلى فلسطين لتلقي إنذاركم وابلغه لسمو الأمير عبد الله، بل حضرت لأقف على حقيقة مبادرة الأمير عبد الله في معان وتقديم عون الحركة العربية له." وفي هذا "المناخ السياسي" كلفه الأمير عبد الله بتأسيس ورئاسة الديوان الهاشمي (1920-1921). ولم يقدر (عوني) البقاء في "صندوق الوظيفة" طويلاً، وآثر الخروج من "صالونات ودهاليز القصور" إلى أخذ مكانه في المشهد الفلسطيني، مفتتحاً مكتباً للمحاماة، ومسجلاً ومحققاً إنجازات مشهودة في ساحات السياسية والقضاء في القدس.

الرابعة: كان اشتباكه "الوطني الثائر" في مجابهة حاييم وايزمن في لندن وباريس وآخرها القاهرة عام 1919 وأقوال زعيم الصهيونية وايزمن "أن اليهود أقلية في

فلسطين، وسيبقون كذلك، ومحاطون من ثلاث جبهات بالعرب ويطوقهم البحر من الجهة الرابعة".

ويقول عوني عبد الهادي في كتاب مذكراته: "ذكرتني عبارته الأخيرة بكلمة طارق بن زياد المأثورة، وقلت له: أليس من الخير والعدل أن تطوي منذ اليوم صفحة الأطماع اليهودية في فلسطين بدلاً من أن يأتي يوم يقتبس فيه اليهودي كلمة طارق بن زياد! فصمت ولم يجب!![14] ولم يكن في "كوابيس الأحلام" عند أي فلسطيني (آنذاك)، أنه وبعد خمسين عاماً على هذا "الحوار" سيقتلع الفلسطيني ويرحل عن أرض وطنه حتى بدون "سفن طارق بن زياد"! وسيصبح حاييم وايزمن أول رئيس للكيان الصهيوني على أرض فلسطين بعنوان "دولة إسرائيل"!

الخامسة: كان موقعه "المحامي المستقل" في عهد ولادة "قيادة" المفتي الحاج أمين الحسيني، و"المعارضة" في حزب الدفاع بزعامة راغب النشاشيبي، وتشكيل الوفود الفلسطينية برئاسة موسى كاظم الحسيني، وانتخابه (عوني) لأمانة سر الهيئة العربية العليا، ومواقفه الوطنية ومرافعاته القانونية أمام اللجان البريطانية، وخاصة أمام لجنه شو في مسألة حائط البراق عام 1930 وإقرار أن "ملكية الحائط إسلامية، وهو جزء من المسجد الأقصى المبارك، وليس لأحد آخر أن يدعي أي ملكية أو حقوق ملكية لا لحائط البراق ولا للساحة التي تقع أمامه."

وكانت هناك "جبهات" أخرى، فُرضت عليه، وتعامل معها بواقعية "المؤمن برسالته"، فقد تم اعتقاله وسجنه في معسكر صرفند مع مئات الثوار لدوره في الثورة الفلسطينية 1936-1939، وذلك في حزيران (يونيو) 1936 وجرى "إبعاده" عن الوطن مع عدد من أعضاء اللجنة العربية العليا عام 1937، وعاش سنوات المنفى في القاهرة حتى العام 1941.

- **وهناك "محطات تاريخية" أخرى في حياة الرجل منها: عضوية الوفد الفلسطيني لمؤتمر سان جيمس في لندن (المائدة المستديرة) عام 1939 وصدور الكتاب الأبيض داعياً إلى إقامة دولة فلسطينية على أساس وقف الهجرة اليهودية ووقف شراء الأراضي من قبل الحركة الصهيونية!**
- **وعاش عوني عبد الهادي مع رفاقه في الهيئة العربية العليا ورجال حزب الاستقلال في القاهرة، يعقدون سلسلة من الحوارات مع أقطاب الأحزاب المصرية: حزب الوفد: مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وحزب السعدية: أحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي، وغيرهم من رجالات الصحافة والإعلام، الأمر**

الذي ساهم إلى حد كبير في تعميق البعد القومي واحتضان مصر للقضية الفلسطينية.

- **عضويته في أول حكومة فلسطينية تشكلت اثر النكبة عام 1948 برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي وكانت "حكومة عموم فلسطين" في غزة لفترة قصيرة...**
- **سفيراً للأردن في القاهرة (1951-1955)وصداقته وحواراته مع كل من الرئيسين محمد نجيب وجمال عبد الناصر والأمير فيصل (السعودي) ولقاءاتهم المستمرة حول قضايا فلسطين، ثم أطروحات مؤتمر باندنغ لدول عدم الانحياز عام 1955 حول "قرار التقسيم" رقم 181 للعام 1947!**
- **وزيراً للعدل ثم الخارجية في الأردن (1955-1958)، وعضواً في مجلس الأعيان الأردني.**
- **انتخب رئيساً للجنة القانونية الدائمة في الجامعة العربية في القاهرة، وساهم مع عبد الخالق حسونة (الأمين العام للجامعة العربية) في تعيين أحمد الشقيري مساعداً له وفيما بعد ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية عام 1964، وتكليف (الشقيري) وضع ميثاق قومي وتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية، لتعبئة وتنظيم الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه المغتصبة.**
- **وبعد، قد لا يخلو كتاب أو دراسة أو بحث موضوعي حول التاريخ والذاكرة الفلسطينية، أرض وشعب وحقوق وقيادة، إلا وتجد اسم عوني عبد الهادي فيه، وصورته حاملاً لواء القومية، مبادراً وطنياً، ومدافعاً ومترافعاً عن القضية.**

... ولعل الأجيال الفلسطينية الناشئة، تتعرف عن قرب على المحطات التاريخية في حياة هذا الرجل الذي عاش لفلسطين.

وأخيرا فانني في هذه العجالة، أكتب وجهة نظر شخصية لم تكتمل، وقد سجلت فيها عدداً محدوداً من القامات الوطنية التي تعتبر نماذج عن العشرات من أبناء العائلة الذين عملوا وأنجزوا خلال القرنين الماضيين، ولعلي أتمكن أن أكتب عنهم جميعا بصورة موسعة في المستقبل!

---

[1] خالد محمد صافي: الحكم المصري في فلسطين (1831-1840). مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت 2010 ص107.

[2] المصدر السابق ص232.

[3] المصدر السابق ص 209-210.

[4] *سجلات المحكمة الشرعية في القدس*. رقم 319 ص79 1988 المجلد الثاني ص 159-160.

[5] المصدر السابق ص 97.

[6] المصدر السابق ص 364.
[7] المصدر السابق ص 97.
[8] - نصوص وصية سليم أحمد عبد الهادي.
- خيرية قاسمية: مذكرات عوني عبد الهادي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 2002. ص481.
[9] قاسم عبد الهادي: مختارات من الشعر العربي، دار الناشر. رام الله 2010 ص18.
[10] المصدر السابق.
[11] المصدر السابق.
[12] مهدي عبد الهادي: فلسطينيون. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية- مؤسسة باسيا. القدس 2011 ص121.
[13] مذكرات عوني عبد الهادي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيورت 2002 ص32.
[14] المصدر السابق ص108.